Djemaa ZERROUKI ¹

**METHOD OF TALEB IBN HAMDOUN BIN AL-HADJ, IN HIS
COMMENTARY ON THE EXPLANATION OF BEHREK ON
THE LITERACY OF VERBS OF IBN MALIK**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.6-3.1>

Research Article

Received:

19/04/2021

Accepted:

22/05/2021

Published:

01/07/2021

This article has been
scanned by **iThenticate**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

The verbal illiteracy of Ibn Malik Al-Andalusian (d. 672 AH) did not get the same as his millennium, and perhaps this is due to its limitation to some morphological sections only, or to its brevity, but the one who is aware of it realizes the extent of its hoarding with valuable and less important things that came in the millennium. This confirms what some grammarians have done to annotate them and annotations, which formed an integral with what came in its textual body of texts, and this integration is recently called "the term" radioactive bibliogram of texts "or" the dichotomy of texts "and can be represented in a diagram that will be revealed by the pages of the intervention.

Among the important explanations that were found was, the "retinue of Ibn Hamdoun", which accumulated evidence and opinions of Arab sculptors in the East and the Maghreb, and collected many submerged works. On this basis, a "sample for study" was selected in order to describe what was stated in it? and to introduce the methodology of its author.

The analysis of what is in its body will be according to the following plan:

_ Brief introduction to the student Ibn Hamdoun bin Al-Hadj.

Key words: Explanation, Verb Illiteracy, Annotation, Methodology, Stratification of Texts.

¹ Dr. , Kasdi Merbah Ouargla University, Algeria, dr.zdjomana@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0001-7083-5087>

منهج "الطالب بن حمدون بن الحاج"، في "حاشيته على شرح "بحرق" على لامية الأفعال لابن مالك

جمعة زروقي²

الملخص

انتشر في القرون الهجرية المتأخرة نمط من التأليف التحوّية التي عُني أصحابها بشرح ما استُغلق ممّا جاء في بُطون المؤلفات التي عُرِفَت "بالمُتُون التحوّية"؛ كالألفيّة، والأجرومية، والكافية الشافية في علمي النحو والتّصريف، ولامية الأفعال في علم الصرف أيضًا، بيد أن هذه الأخيرة -لامية الأفعال لابن مالك الأندلسي (ت672هـ)- لم تحظ بما حظيت به ألفيته، وربما يعود ذلك لاقتصارها على بعض الأبواب الصرفيّة فقط، أو لإيجازها، لكن المّطلع عليها يلمس مدى اكتنازها بنفائس ودُرر لا تقلّ أهميّة ممّا جاء في الألفيّة؛ ويؤكد هذا ما قام به بعض النّحاة من وضع شروح لها وحواشي، شكّلت تكاملاً بما جاء في متونها من نصوص وهذا التّكامل يُطلق عليه حديثاً "مصطلح الببليوجرام الإشعاعي للنصوص" أو "تفارع النصوص"، الذي سيتمّ الحديث عنه في صفحات لاحقة من هذا البحث. فمن بين الشّروح المهمّة التي تمّ العثور عليها "حاشية ابن حمدون"، التي اقتصرت بالشّواهد، وآراء النّحاة العرب في المشرق والمغرب، كما حوت جملةً من أسماء الأعلام، والمصنّفات المغمورة، وعلى هذا الأساس تمّ انتقاؤها "عيناً للدراسة"، ومنها جاء موضوع البحث موسوماً ب: "منهج "الطالب بن حمدون بن الحاج"، في "حاشيته على شرح "بحرق" على لامية الأفعال لابن مالك". وبناءً على هذا العنوان سنستهلّ هذا المقال الوجيز بتقديم هذه المؤلفات والتّعريف بها، وبأصحابها، ومن ثمة الشّروع في تحليل الحاشية موضوع الدراسة. الكلمات المفتاحية: شرح، لامية الأفعال، حاشية، منهجية، تفارع النصوص.

_أولاً: أعلام الدراسة:

أ_ محمّد الطالب بن حمدون بن الحاج السّلمي (ت1273هـ)، هو العلامة المؤرّخ النّسابة الفقيه القاضي العدل، أبو عبد الله محمّد الطالب بن العلامة أبي الفيض حمدون بن عبد الرّحمن بن حمدون بن الحاج السّلمي المرداسي الفاسي، وُلد في بيتٍ عِلمٍ وفضلٍ ووقارٍ. (عكلي، 2018).

وُلّي القضاء بمراكش مدّة ثمّ بمقصورة السّماط بفاس (سودة) وقال عنه الزّبيدي: "كانت له رحلة، وقرأ القرآن على عُثمان بن سعيد المعروف "بورش" صاحب نافع، واستأدبه الأمير الحكم بن هشام لبنيه، وُلّي ابنه "محمّد" الخزّانة، وتصرفَ بنوه في الخطط إلى أيّام عبد الرّحمن النّاصر لدين الله _ رضي الله عنه _، وكان عالماً بالقرآن، بصيراً بالعربيّة، وذا حظٍّ من الرُّهد، ولم يُغيّر حالته التي كان عليها قبل اتّصاله بالسلطان (الزبيدي، دت، صفحة 270)

_ وفاته وآثارة: توفي الطالب بن حمدون، بن الحاج بعد عصر يوم الجمعة من اليوم التّاسع من شهر ذي الحجة، له حاشية على شرح المرشد لميارة متداولة، وحاشية على شرح بحراق الصّغير، والأزهار الطّبيّة النّشر في المبادئ العشر، والاشراف على بعض من حلّ بفاس من مشاهير الأشراف، ونظم الدرر واللّثال في أشراف عقبة بن صوال؛ وروض البهار في ذكر جملة من مشايخنا الذين فضلهم أجلى من شمس التّهار، ورياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد، تكلم فيه على ترجمة والده الشّيخ حمدون المذكور، دُفِنَ بِرُوضَةِ الشّيخ عَزُوزٍ بِالْدرْبِ الطّويل (سودة).

ب_ بُحْرُقُ اليميني (869هـ 930هـ): هو جمال الدّين محمّد بن عمر بن مبارك الجيميري الحضرميّ الشّافعي الشّهير بـ "بُحْرُق" فقيهٌ وأديبٌ وباحثٌ متصوّفٌ، وُلد "بَحْضَرْمُوت" ليلة النّصف من شعبان عام (869هـ) وأخذ بها، وبزبيد، ومكّة، والمدينة، أخذ عن علمائها، ونبغ ووُلّي القضاء بالشّحر، ثمّ استقال ورحل إلى الهند، فأكرمه السّلطان مظفرًا، وأقام إلى أن مات في أحمد آباد بالهند في عشرين ليلة خلت من شهر شعبان سنة (930هـ)، برع _ رحمه الله _ في

² د.، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، dr.zdjomana@gmail.com

مجالات عدّة ممّا دفعه إلى التأليف في علوم شتى، ومن تصانيفه نذكر، تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بمسيرة الحضرة النبوية، ونشر العلم في شرح لامية العجم، وثحفة الأحباب، وشرح ملحة الإعراب في النحو، وعقد الدرر في القضاء والقدر، والخسام المسلول على مستقصى أصحاب الرسول، وشرح لامية الأفعال لابن مالك في الصرف، وفتح الزووف في معاني الحروف، وغير ذلك، وهو كثير، وله شعر جيد (الزركلي) (الشنقيطي، 1971، صفحة 85)

ج - محمد بن عبد الله بن عبد الله، بن مالك العلامة، جمال الدين أبو عبد الله الظاهري الجبالي الشافعي النحوي المعروف بابن مالك (600هـ، 672هـ) نزيل دمشق، إمام النحاة، وحافظ اللغة، قال الذهبي: «وُلِدَ سنة ستمائة، أو إحدى وستمائة، وسَمِعَ بِدِمَشْقَ من السَّخَاوِي، والحسن بن الصباح، وجماعة، وأخذ العربية عن غير واحد، وجالس بِحَلَبِ ابن عمرون وغيره، وتصدّر بها لإقراء العربية، وصرف همتَه، إلى إتقان لسان العرب، حتّى بَلَغَ فيه الغاية، وحاز قَصَبَ السَّبْقِ، وأربى عَنِ المتقدمين، كان إليه المنتهى في الإكثار من غريب اللغة، والاطّلاع على وحشيّتها، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرًا لا يُجَارَى، وخبرًا لا يُبَارَى، أقام بدمشق مدة بين التصنيف والعمل، صنّف تصانيف مشهورة نحو الألفية والكافية والشافية واللامية، توفي ابن مالك في الثاني عشر من شهر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة (672هـ) - رحمه الله - (السيوطي، 2005، صفحة 128-191)

ثانيًا: قراءة سريعة وعرضٌ وجيزٌ للامية الأفعال لابن مالك:

تُعَدُّ "لامية الأفعال لابن مالك الأندلسي" (ت 672هـ) من أهمّ المتون العلمية الخمس التي وضعها في علم "الصرف العربي" والتي تمّ طبعها مرارًا، وقد سميت باللامية؛ لانتهاء رويّ فوافيها بحرف اللام، وقد أحصت الدراسة عدد أبياتها ووجدتها مؤلفة من مائة وأربعة عشر (114) بيتًا شعريًا، نظمها على منوال بحر "البيسط" « تناول فيها معظم موضوعات الصرف، وخاصةً أبنية الأفعال، وقد شرحها ابنه "بدر الدين"، وشرحها أيضًا نجم الدين الغزي، وغيره» (الشنقيطي، 1971، صفحة 1، 62)

وقد بناها على مقدمة مكوّنة من أبيات أربعة (04)، ومتنٍ مكوّنٍ من أبواب خمسة، وفصولٍ ستّة نظمتها في مائة وخمس (105) أبيات وخاتمة، مكوّنة من أبيات خمسة.

ثانيًا: قراءة سريعة وعرضٌ وجيزٌ لشرح الشيخ جمال الدين محمد بن عمر المعروف بـ "بحرق" الحضرمي اليمني: اشتهر هذا الكتاب في أوساط نحاة القرون المتأخرة "بفتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لامية الأفعال أو "الشرح الكبير" أو «فتح الأقفال، وصُرفُ الأمثال بشرح لامية الأفعال» (الشنقيطي، 1971، صفحة 1، 76) وتعود شهرته لما له من قيمة علمية، و«دور في تكوين مدرسة ابن مالك الصرفية، وعلاقته الوطيدة بكلّ الشروح التي جاءت بعده (الشنقيطي، 1971، صفحة 1 ص 76)

قسّمه على أبواب ثمانية، وفصول أربعة، وفق الترتيب الذي جاء في لامية الناظم "ابن مالك" وقد حفلت بالشواهد، والآراء النحوية، والتفسيرات العلمية المشفوعة بالأدلة والحجج، وكان عدد صفحات النسخة التي عثرت عليها الدراسة مائة وتسع وثلاثين (139) صفحة في كتاب مستقل (الشنقيطي، 1971، صفحة 1، 87-100)

ثالثًا: قراءة شاملة وعرضٌ مفصّلٌ لمنهج ابن حمدون في حاشيته على شرح بحرق اليمني:

حاشية الطالب بن حمدون بن الحاج على شرح بحرق اليمني على لامية الأفعال لابن مالك:

يُحْتَمُّ الحديث عن الحواشي تذكيرنا بأسبقية المتون والشروح للحواشي والتقريرات، ويتفق الباحثون على أسبقية المتون للشروح، والحواشي والتقريرات، «فهذه كلّها آثار للمتون، وعملٌ عليها، وإذا أردنا وضع تاريخ لبداية المتون لا بُدَّ من التنبيه على أنّها نوعان: - متن منظوم، و- متن منثور، وكلّ واحدٍ منها يشترك في طبيعته مع الآخر في الميل إلى الاختصار، والخلو من كلّ ما يؤدّي إلى الاستطراد، والتفصيل، وقلة ذكر المذاهب، والخلافات، كما تكثر فيهما الشواهد، والأمثلة التي لا تذكر عادةً إلّا في حدود الضرورة» (السلي، صفحة 249)، ثم إن صناعة المتون المنظومة من الفنون التي جاء بها علماء اللغة في القرون المتأخرة، وقد «ظهر المتن المنظوم عند العرب في القرن (2هـ) الثاني الهجري، حين اتّسعت معارفهم، وتنوّعت لديهم الثقافات، وزاد إقبالهم على التعلّم، وقد أحسّوا حينذاك بحاجتهم إلى نوع خاص من التصنيف يُعينهم على حفظ المعلومات ونقلها، فاستعانوا على ذلك بالشعر الذي امتلكوا ناصيته؛ لأنّه يُشكّل وسيلة مشوّقة، ويُسهّل على المتعلّمين حفظه» (السلي، صفحة 250)

ومن هنا يُمكن التأكيد على أنّ طبيعة الكتاب الذي بين أيدينا هو "حاشية موضوعة على شرح لمتن منظوم" وقد أطلق على هذه العلاقات القائمة بين المؤلفات النحوية مصطلح "البليوجرام" فما المقصود به؟

بليوجرام المنظومات:

لقد طرح "كمال عرفات نيهان" في كتابه "عبقريّة التأليف العربي" نظرية "البليوجرافيا التكوينية"، وقال: «هي جديدة في مضمونها وتسميتها، وهي تؤسّس مجالاً جديداً في دراسة التأليف، وعلاقات النصوص، والضبط البليوجرافي» التكويني، وتضيف بعداً جديداً في علم البليوجرافيا، وعلم المعلومات، وتقدّم بداية نظرية وميدانية لتأسيس علم النصوص العربية» (نيهان، 2015، صفحة 25)

وبهذا الطرح هو يسعى إلى ابتكار نظامٍ لوصف تمثيل علاقات النصوص داخل عائلة النصّ، ويُسمّى هذا النظام: "مخطط علاقات النصوص"، الذي أطلق عليه تسمية: (Biblio gram) وقال:

«وهي كلمة جديدة على اللغة الانجليزية تَمَّ تركيبها لأول مرة، ويتفرّع منه "المخطط الزمني لعلاقات النصوص"، وقد سماه: (Biblio - chrono gram) لأول مرة أيضاً، لوصف الامتداد الزمني لتأثير النصّ في ظهور المؤلفات المتفرعة عليه وتمثيله، وقد بلغ تأثير بعض النصوص إلى ثمانية قرون (نهبان، 2015، صفحة 25)، وقد لاحظ أنّ النظم شمل العلاقات التالية بين النصوص:

- 1- نظم نصّ منثور: (تحويل نصّ من النثر إلى الشعر): وذلك هو السائد والغالب.
- 2- الاختصار المنظوم لنصّ منظوم: ومثاله "الألفية في النحو"، لابن مالك (ت 672 هـ)؛ فالنصّ الأصلي "الخلاصة" منظوم في ألف بيت.
- 3- شرح نصّ منظوم؛ حيث كانت المنظومات مُتونا مكثفة يحفظها الطلاب، ثم تُشرح في كُتُبٍ مُطوّلة، ومن هذه الأعمال؛ "شرح كثيرة لألفية ابن مالك" وغيرها.

ومن هذا الصنف الثالث انبثقت الحاشية التي وضعها الطالب بن حمدون بن الحاج عن شرح بحرق اليميني عن لامية الأفعال لابن مالك، ويمكن إيجازها في المخطط الآتي:

ب_ نسبتها:

من المسلّم به أنّ هذه الحاشية من تأليف الطالب بن حمدون بن الحاج، وضعها على شرح " جمال الدين بحرق اليميني"، وقد ذكرها له الزركلي في أعلامه 13 وغيره من المحققين والباحثين في هذا المجال.

ج_ خصائص عنوانها:

- لقد توافرت في عنوانها سمات أهلتها لبلوغ درجة عالية من الوضوح والدقة، ومن بين تلك السمات نذكر:
- 1_ التعريف: فقد ربطه الطالب بن حمدون بشرح "بحرق اليميني" على لامية الأفعال حفاظاً على الرباط الوثيق الذي يجمع الحاشية بالتصوُّص الأصلية التي استقى منها مادّةهُ.
 - 2_ الأسلوب: فقد كان مباشراً واضحاً سليماً، لا غموض فيه.
 - 3_ الحجم: تراوح بين الطول والقصر.
 - 4_ العموم والخصوص: فهذا العنوان مقتصرٌ على مجال تصريف الأفعال وبعض الأسماء فقط، لا بمجالات الصّرف العربي ككل؛ فهو مصنّفٌ خاصٌ بمجال الأفعال وحالاتها الصّرفيّة تحديداً.
 - 5_ الهدف: يتجلّى مقصد المحسّي في كتابه هذا وهو: فكّ ما استغلق، وتقديم إضافة واستدراك لما لم يجرى في حاشية "بحرق اليميني".

د_ مصادر ابن حمدون ومراجعته:

إنّ المتمعّن في حاشية ابن حمدون، والمتصفّح لجُلّ ورقاتها التي بلغت خمس وستين (65) ورقة، يلمس ما قام به من جهدٍ في التنقيب عن قضايا الأفعال وتعدادها، وتصنيفها، وغيرها، وفكّ غامضها، والاحتجاج والاستشهاد على أصالتها، وصحتها، وإعلالها، وابدالها، كما أنّه سيعثر في ثناياها عن زخم كبير من أمّهات الكُتب العربيّة التي تشهد له بطولِ الباع، وواسع الاطلاع، وينبغي التّنبه إلى أنّ المقام لا يتّسع لذكر جميع تلك الكتب، ومواضع ذكرها، وإنّما سنكتفي بذكر أهمّها فقط، وأكثرها انتشاراً في صفحات الحاشية، فمن الكُتب التي تكرر ذكرها في الحاشية نذكر:

كتابي الفائق والكشاف للمخشي؛ فقد جاء ذكر هذا الأخير في أكثر من خمسة مواضع، كما اقترن ذكر القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز ايادي، بالمصباح المنير الفيوحي، في هذه الحاشية، وتكرر ذكر الصّحاح للجوهري، والكتاب لسبويه في أكثر من خمسة عشر موضع من الكتاب، كما جاء ذكر شرح سيدي الطيّب بن كيران على ألفيّة السّير، ومغني اللبيب، والكافية، والخلاصة الألفيّة، وشرح الألفيّة للأشموني، و المحكم لابن سيده، و التّسهيل لابن مالك، وشرح التّسهيل للدماميني، وشرح الفصيح لابن مشاء، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وشرح بدر الدين بن مالك على الألفيّة، وإضاءة الأدّاموس لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهاللي، وغيرها، كما لمسّ اقتباسه في مواضع كثيرة من هذه الحاشية التّفيسية من الخلاصة الألفيّة في النّحو والصّرف، ويُمكن الاستئناس بمثل واحد في هذا المقام، وهو قوله في كثرة ورود ما جاء على وزن مفعول في كلام العرب (قول السّارج وذلك كثيرٌ في كلامهم) ومع كثرة لايقاس عليه، قال في الخلاصة (مالك، صفحة 61):

وَنَابَ ثَقْلًا عَنْهُ دُو فَعِيلٍ * نَحَو فَتَاةً أَوْ فَتَى كَجِيلٍ.

هـ_ أبوابها ومنهج ابن حمدون فيها:

_ أبواب الحاشية:

لقد بنى الطالب بن حمدون حاشيته انطلاقاً ممّا جاء في متن لامية الأفعال، وما جاء في حاشية "بحرق اليميني" فكان تقسيمه مطابقاً لهما - تقريباً -

فقد استهلّ حاشيته بمقدّمة، استهلّها بالبسملة، وشرع مباشرة في إيضاح ما جاء في مستهلّ متن اللامية، وشرحها. ثمّ تبعها بأبواب كانت متوازنة نسبياً وكان تقسيمها على النّحو الآتي:

- 1_ باب أبنية الفعل المجزّد وتصاريفه، ورد في ثلاثين صفحة (من ص 10 إلى 30).
- 2_ باب أبنية الفعل المزيد فيه، ورد في صفحات سبع (من ص 30 إلى 37).
- 3_ فصلٌ في أحكام المضارع، ورد في صفحات (من ص 37 إلى 39).
- 4_ فصلٌ في فعل ما لم يُسمّ فاعله، ورد في أربع صفحات (من ص 39 إلى 42).
- 5_ فصلٌ في فعل الأمر ورد في صفحتين صفحات ست (من ص 42 إلى 43).
- 6_ باب أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين، ورد في صفحات ست (من ص 43 إلى 48).
- 7_ باب أبنية المصادر، ورد في صفحات ست (من ص 48 إلى 53).
- 8_ فصلٌ في مصادر ما زاد على الثلاثي، ورد في صفحات خمس (من ص 53 إلى 57).
- 9_ باب المفعول والمفعول ومعانيهما، ورد في صفحات سبع (من ص 57 إلى 63).
- 10_ فصلٌ في بناء المفعلة ورد في صفحة واحدة (ص 63 فقط).
- 11_ فصلٌ في أسماء الآلة، ورد في صفحة واحدة (ص 63 فقط).

12_ الخاتمة (ص 64).

و- منهج "ابن حمدون" في تبويب كتابه:

1_ عرض المسائل عند ابن حمدون في الحاشية:

بنى ابن حمدون حاشيته على ما جاء في المتن الأصل (لامية الأفعال)، و(شرح بحرق على لامية الأفعال)، فاشتملت أبوابها على مسائل هذين المصدرين، مهملة ما لم يرد فيهما، وقد اتسمت طريقته في تأليفها بالتسلسل في عرض المسائل حيث استهلها (ابن حمدون) بعرض ما جاء في مستهل المتن صراحةً، وهو قول ابن مالك: «الحمد لله لا أُنْغِي بِهِ بَدَلًا» (الولاتي، صفحة 02)

ثم أتبعه بشرح بحرق «قوله باللسان» (حمدون، دت، صفحة 01)، وقال بحرق في حاشيته: (الحمد لله) الحمد هو الثناء باللسان على المحمود بما فيه من الصفات المحمودة، وهو والمدح أخوان (بحرق، صفحة 01)، ثم شرع في التحليل قائلا: «هو تقييد بناء على أنه يُطلق على كل ما يدل على التعظيم، وهو المفهوم من "الصّاح" وغيره، أو إيضاح بناء على أن الثناء إنما يكون باللسان» (حمدون، دت، صفحة 02)

ومن هنا يتضح لنا وجود خيط دقيق يربط بين ما عرّضه ابن حمدون من مسائل صرفية، وبين ما جاء في اللامية، وشرحها، ومعنى ذلك أن هناك صلة قصدها "ابن حمدون" بين أبواب كتابه، وظهر هذا الرباط قويًا جليًا في معظم ما ورد بالحاشية من أبواب، ومن المفيد - في هذا المقام - الإشارة إلى بعض آليات الربط التي اعتمدها النحاة العرب في كتب الشروح النحوية، لنرى مدى تطابق طريقة "الطالب بن حمدون مع إحداها"

هناك طُرُق وآليات للربط بين النصوص: فقد عرفت الشروح القديمة -مثلا- عدّة أشكال للعلاقة بين القول الشارح، والنصوص المشروحة، سواء تناول الشرح النص كله، أو أجزاء منه، وفي هذا المجال، ميّز أحد الباحثين الطرق التالية:

أولاً: تمييز النص عن الشرح بطريقة قال- أقول:

من الواضح أن الاتجاه الغالب كان يتمثل في الحرص على التمييز بين النص، وشرحه، وأهم طريقة في ذلك الشرح ب (قال- أقول)، حيث يتناول الشارح أجزاء النص بالشرح، وفي كل مرة تكون البداية بكلمة (قال)، أو (قوله)(أي: قال مؤلف النص الأصلي)، وتأتي بعدها فقرة أو كلمة من النص الأصلي، ثم يتدخل الشارح بكلمة (أقول)، ويذكر شرحه للفقرة أو الكلمة، ويستمر بهذه الصورة حيث يتم التتابع بين أجزاء النص الأصلي، وشرحها.

وقد ظلت هذه الطريقة محتفظة بالنصوص الأصلية، وشرحها مميزة واضحة (نبهان، 2015، صفحة 318)، وقد تنبّه إلى ذلك النحاة العرب في شروحهم، فكانوا حريصين على تمييز كلامهم عن كلام الناظرين.

ثانياً: الشرح الممزوج بالمتن، مع محاولة تمييز النص بعلامات أو ألوان:

وقد لمسنا ذلك في شروح عديدة نحو، "شرح قطر الندى وبلّ الصدى" وهذا النوع تميّز فيه عبارة المتن بالشرح، و في بعض المخطوطات الأصلية قد يميّز المتن الأصلي بوضع خطّ فوقه، أو يميّز بحرف (م)، ويميّز الشرح بحرف (ش)، ولا يلتزم الشارح التمييز بإشارات القول مثل (قال، أقول، قوله..)، أو نحوه، وقد يكتُب النص الأصلي باللون الأحمر في بعض المخطوطات، ولكن عند استنساخ الكتاب في ما بعد، قد يهمل النساخون العلامات المميزة، فيندمج المتن والشرح، وبشكل ذلك صعوبة عند تحقيق الكتاب، ومحاولة الفصل بين النص الأصلي، والشرح (نبهان، 2015، صفحة 318_319)

ثالثاً: شرح أجزاء من المتن مع عدم الالتزام بتسلسله:

وفي هذه الحالة، يكون المقصود هو شرح مواضع من النص، ولا يلتزم الشارح هنا بتسلسل الفقرات بالمتن، بل يذكر ما يحتاج إلى شرحه، ويضع قبله كلمة (قوله..)، وهذه الطريقة لا توصل إلينا النصوص الأصلية المشروحة، ولكن بعض المخطوطات شهد كتابة المتن، بكامله مُستقلاً في الهامش (نبهان، 2015، صفحة 318_319)

ومن خلال هذا العرض لطرُق وآليات الربط بين النصوص تبين لنا اقتراب الطريقة التي اتبناها "الطالب بن حمدون" من الطريقة الثانية؛ وهي طريقة عرض "الشرح الممزوج بالمتن، مع محاولة تمييز النص بعلامات أو ألوان" بيد أن منهج المحشّي (ابن حمدون) في عرض مادته كان منظماً ومتسلسلاً وذلك بعرض الجزء المراد شرحه من المتن، ثم عرض شرحه، ومن ثمة التعليق عليه، وإثرائه، وتجدر بنا الإشارة إلى أن الطالب بن حمدون كان يميّز حاشيته عن المتن والشرح بمخالفة خط الحاشية للمتن، ووضع نص المتن أو الشرح بين قوسين، فقد كان خطّ المتن والشرح أكبر من خط الحاشية، كما كان يُشير في مواضع عديدة من كتابه إلى أن هذا القول للناظر أو الشارح، وقد تجلّى هذا المنهج في مواضع كثيرة من كتابه ومن ذلك نذكر:

(قوله على المحمود) فيه دور؛ لأن المحمود مُشتق من الحمد» (حمدون، دت، صفحة 02)

وهي طريقة منهجية دقيقة؛ إذ اعتمد فيها على التسلسل الزمني للنص انطلاقاً من المتن ومروراً بالشرح ووصولاً إلى الحاشية، وهذا ما يُحبّذه المحدثون ويسعون إلى ترسيخه.

_ (قوله في محلّ الحال من فاعل الحمد المدلول عليه به) فيه نظر إذ الصحيح أنّه لا يحتمل ضميرًا؛ لأنّ غدولهم عن التّصّب إلى الرّفع مبالغة في الفرار ممّا يدلّ على التّجّدّد، والصّواب أنّ الجملة مستأنفة للبيان أو حال» (حمدون، دت، صفحة 04)

_ قول النّاظم (ثمّ الصّلاة) عطف بثّم إذاً بتبائي المرتبتين؛ لأنّه وجب عليه حقّان؛ حقّ الله، وحقّ لرسوله، وبين الحقّين ما لا يخفى وإن كان حقّ الرّسول من جملة حقّ الله « (حمدون، دت، صفحة 5)

_ « قول الشّارح (تحت الرّضخ) بالخاء المعجمة؛ الحجر الذي تُكسّر به النّواة، وأمّا التي تُكسّر عليه، فبالهملة قول النّاظم (ترث) قَيّده ابنُ العباس، والمكلاقي، بالنّواة، وهو غير ظاهر بل وكذلك ترث يده كما في الشّارح وتر العَصُو بأن انقطع كما في ابن عباس وفي القاموس أنّهما بالوجهين، وكذا طرت اليد سقطت، وعليه فالتّقييد غير يبيّن» (حمدون، دت، صفحة 24).

ز_ شواهد الحاشية:

كان ترتيب الشّواهد في حاشية ابن حمدون طبيعيًا فقد طغت الشّواهد الشعرية عن الشّواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشّريفة، كما جاء في متنها عرض لبعض أقوال العرب، وأمّثالهم.

1_ الشّواهد القرآنية:

فاقت الشّواهد القرآنية في حاشية ابن حمدون اثنين وخمسين (52) شاهداً، ولا ريب أنّ عنايته بالشّواهد لدليل على كونه من حملة كتاب الله عزّ وجلّ، ويمكن الاستئناس بما جاء به من تلك الشّواهد بما يلي:

_ في تفسيره لمعنى الفعل (بغي) قال: « (قوله بَغَيْتُ السّيءَ أَبْغِيهِ: أَي طَلَبْتُهُ) منه قوله تعالى: [أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ تَبْعُونَ] (آل عمران: 25)

كما استشهد في حديثه عن " كاف الخطاب " بقوله تعالى: [هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ] (الحاقة: 19) فقال: « (قوله: والكاف حرفُ خطاب) اعلم أنّ هذا الاسم فيه لغاتٌ انهاها الرّضي إلى ثمانية منها: هاء التّأنيث، وألف للواحد، وغيره مذكراً ومؤنثاً، وهائها وهمزة ساكنة للواحد وغيره، كذلك، وقد تلحق الألف في اللغة الأولى كاف فيقال هاك كما فعل النّاظم، وقد تُبدّل من الكاف همزة تنصرف كتصرفه وبه جاء القرآن» وذكر الآية (حمدون، دت، صفحة 10).

كما استشهد بالقراءات القرآنية في مواضع عديدة من حاشيته، ومن ذلك قوله في كسر فاء (نعم وبئس) إعلاماً بحركة عينهما قال: بعد شرح مفصل للتغيير الذي يطرأ على فعل مضموم الفاء وفعل المكسور الفاء، قال: « وربّما التزمّت هذه اللغة في نَعَمَ، وبئس في الكثر؛ لأنّهما لما ثَقُلَا عن معنهما الأصليّ وجدا ثَقُلَا بذلك فالترّم تخفيفهما في الأكثر مع كسر فائهما إعلاماً بحركة عينهما، وقد قرأ ورّش وابن كثير وحفص، قوله تعالى: [فَنِعَمًا هِيَ] (البقرة: 271)، وقوله: [إِنَّ اللَّهَ نِعَمًا يَعْظُمُكُمْ بِهِ] (النساء: 58) بكسرتين، وقرأ قالون وأبو عمرو وشعبة بهما مع اختلاس الثانية منهما، والزّواية عنهم كسرة، وسكون كما ذكره صاحب التيسير والنشر...» (حمدون، دت، صفحة 13)

2_ الأحاديث النبوية الشّريفة:

استشهد ابن حمدون بأزيد من سبعة (07) أحاديث نبوية شريفة، وكان يُصرّح بأنّها أحاديث ومن ذلك نذكر قوله في معنى الشّكر: « والشّكر بهذا المعنى هو المراد في آية [وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشّكُورُ] (سبأ: 13)، وحديث: {أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا} (حمدون، دت، صفحة 03)

وفي حديثه عن الفعل وَعَدَ ومصدره " اليعاد " قال مفسراً مدلوله بقول أبي البقاء الكفوي في كُليّاته، ويؤيّد استعمال اليعاد في الخير حديث { إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَمَةً بَابِنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لَمَمَةً، فَأَمَّا لَمَمَةُ الشَّيْطَانِ فإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَمَةُ الْمَلِكِ إِيْعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ } (حمدون، دت، صفحة 18)

3_ الشّواهد الشعرية:

فاق ذكر الشّواهد الشعرية في الحاشية ستة وستين موضعاً، تراوح بين ما هو منسوب لقائله، وبين ما هو مجهول القائل، ومن الأبيات المنسوبة، ما ورد في شرحه لاستغناء الوصف عن التّصريح قال: (قوله ولهذا استغنى بهذا الوصف عن التّصريح باسمه) يعني لما اختصّ بهذا الوصف كان إذا اطلق إنّما يصير علماً عليه فلا حاجةً على تعيين اسمه بعد ذلك كما قال ابن زيدون [البسيط] (حمدون، دت، صفحة 06)

لَسْنَا تُسَمِّيكِ إِجْلَالاً وَتَكْرَمَةً**وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَاكَ يُعْنِينَا

إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورَكَتِ فِي صِفَةٍ** فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِيضَاحًا وَتَبْيِينًا.

كما استشهد بقول الشّاعر "عمر بن أبي ربيعة" في تفصيل الحديث عن أحرف المضارعة قوله و(النون للمتكمّم المشارك) أي أعمّ من أن يكون مثنى أو جمعا مذكراً أو مؤنثاً أو مختلفاً أو المعظمّ نفسه نحو: نحن نفعل كذا مجاز، لتزهره بنفوذ كلمته منزلة الجمع، (قوله والغائبين) ظاهره وإن تقدّمه لفظهما نحو: هما تفعلاّن، وهو قول ابن أبي العافية، قال هو بالتاء الفوقية حملاً على الظاهر ورباعياً للمعنى، ونظر إلى أن الضمائر تردّ الأشياء إلى أصولها، وقال ابن الباذش لا اعلم في المسألة سماعاً ولا نصّاً لنحويّ، والقياس عندي الباء التّحتية حملاً على آخر الاسمين، وهو الضمير المشترك بين

المؤنثين والمذكّرين لكن في حاشية شيخ شيوخنا" سيدي الطيّب بن كيران على ابن هشام أنّ السّماع وجد بقول ابن أبي العافية قال "عمر بن أبي ربيعة" [الطّويل] (حمدون، دت، صفحة 38)

أَقْصُ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا ** وَمَالِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَوَحَّر.

لَعَلَّهُمَا إِنْ تَبَغَّيَا لِي حَاجَةً ** وَأَنْ تُرَحَّبَا سِرًّا بِمَا كُنْتُ أَخْصُر.

وفي حديثه عن وزن (فُعال) قال: (قول الشّارح فُعال بضمّها) صرح أبو عثمان بأنّه مقيسٌ كفعل وهو ظاهر قول سيبويه، وفعل أخو فُعل (قوله جاهل بالأمور لم يجزّيه) منه قول أبي حيّان [الوافر] (حمدون، دت، صفحة 44)

يَظُنُّ الْغَمْرُ أَنَّ الْكُتُبَ تُهْدَى ** أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الْجَهْلُ بِأَنَّ فِيهَا ** غَوَامِضَ حَيْرَتٍ عَقْلَ الْفَهِيمِ

وَتَلْتَبَسُ الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى ** تَصْبِرَ أَضَلُّ مِنْ تَوْمَةِ الْحَكِيمِ.

ومن الشّواهد الشعريّة التي ساقها ابن حمدون في حاشيته _أيضا_، بيت لعبد الله بن طاهر الخُزاعي [الطّويل] (حمدون، دت، صفحة 45)، يستشهد فيه على فتح أوله.

وَإِنِّي لِلتَّعْرِ الْمَخَوِّفِ لِكَالِيءٍ ** وَلِلتَّعْرِ يَجْرِي ظِلْمُهُ لَرُشُوفِ

قال: (قوله ثغره) المعروف عند علماء اللغة أنّه بفتح المثلثة وسواء في ذلك؛ الفمّ أو موضع المخافة، وقد اجتمعا في قول عبد الله بن طاهر الخُزاعي (حمدون، دت، صفحة 45) المذكور آنفاً.

ومن صور استشهاده أيضاً اكتفاؤه بجزءٍ معيّنٍ من الشّاهد، ومن ذلك استشهاده بقول ذي الرّمة: وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أَتْيَابِهَا شَنْبُ.

وذلك في معرض حديثه عن معنى الشّنب (حمدون، دت، صفحة 45)، وفي اجتماع (هُداء وهُدَى) قال: « لم يرد من ذلك إلا أربعة هدى وثقى وسرى، وبكى، وما عدا ذلك كلّ جمع، قاله جماعة، وقد يقال بكاء بالمدّ نظراً إلى كونه دالا على الصّوت كالزّغاء، واجتمعا في قول حسان بن ثابت [الوافر]:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاءُ ** وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

كما أورد العديد من الأبيات الشعرية، مجهولة القائل ومن ذلك قوله في مصدرٍ ضَنّ" قال:

« (قوله ومثله المصدر من ضنّ) أي مثله في كون الفتح فيه هو القياس، وضنّ بالضاد الساقطة فسره ببخّل للاحتراز من ظنّ بالمشالة بمعنى حسب فإنّه لم يسمع فيه إلا الكسر (قوله لأنهما كحَنّ يَحِنّ) يعني في لغة، وفي لغةٍ أخرى من باب فرح، وهو الشهر في ضنّ قال: [البسيط] (حمدون، دت، صفحة 60)

مَهْلًا أَعَادِلَ قَدْ جَرَّبْتُ مِنْ حُلْقِي ** إِلَيَّ أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنُّنَا

4_ أقوال العرب:

استدلّ ابن حمدون بطائفة من أقوال العرب ولغاتهم، المتناثرة في بُطون الكُتب، ومن ذلك مثلاً قوله في شرح معنى (الحمد) قال: قال سيبويه: ومن العرب من ينصبّ بالألف واللام، ومن ذلك قولك: الحمد لله، فينصبها بنو تميم وناس من العرب كثيراً، (وفي س وناس كثير) (حمدون، دت، صفحة 04)، و (سيبويه، 1988، صفحة 1، ج329)، وقد ورد كلام العرب في مواضع كثيرة من الحاشية.

وكان ابن حمدون كثيراً ما يعلّق على الشّواهد ويحلّلها من أجل إيصالها إلى ذهن المتلقي.

ج_ اهتمامه بذكر مذاهب النّحاة:

غني ابن حمدون بذكر مذاهب النّحاة في مواضع عدّة من كتابه، ويمكن التمثيل لذلك بما جاء في قوله في "جمع صاحب": « والصّحْبُ جمعٌ صاحبٍ هذا مذهب الأخفش والفراء ومذهب سيبويه والجمهور » (حمدون، دت، صفحة 8)، وفي «(قوله هاك اسم فعل بمعنى خُذ) هذا مذهب جمهور البصريّين» (حمدون، دت، صفحة 10).

ط_ تعرّضه لمسائل الخلاف:

اهتمّ ابن حمدون بذكر بعض المسائل الخلافية التي وقعت بين العلماء حول بعض القضايا الصّرفيّة، ومن ذلك ندكر: قوله: « اعلم أنّ الرّباعي المضاعف اخْتُلِفَ فيه إذا بُهِمَ المعنى بسُقُوطِ حرفٍ منه نحو "عَسَسَ بالليل طافت، تقول فيه عَسَّ وزحزحه عن كذا تقول فيه زَحَّه، فقال البصريّون إلّا الرّجّاج: الكلمة رباعيّة، وحروفها كلّها أصولٌ لدفع التّحكّم، وعلى قولهم فهو من هذا الباب، وقال الرّجّاج: الصّالحُ للسّقُوطِ زائِدٌ؛ فالعين الثّانية عنده زائدة في عسّس، ومقابلته من غيره مثله فهي عنده تكريرٌ فاء وليس يُوجِبُهُ؛ لأنّ الفاء لا تضاعف وحدها، وقال الكوفيّون الصّالحُ للسّقُوطِ بدل من تضعيف عين فأصل كبكب عندهم كَبَبٌ بتضعيف العين...فقول البصريّين أولى وعلى قولهم وقول الرّجّاج يكون من مزيد الثّلاثي. » (حمدون، دت، صفحة 11_12)

ي_اهتمامه بالرواية والسماع والقياس، والتعليق:

إنَّ المَظْلَع على الحاشية يلمسُ فيها اهتمام ابن حمدون بهذه الأصول الثابتة عن النَّحاة العرب، ويُمكنُ التَّمثِيل لذلك بالنماذج الآتية:

- 1_ من صور القياس في الحاشية: قوله: « (يئس يئس ويأس) مثله ابن القوطية وظاهر القاموس أنَّه إنَّما جاء على القياس؛ لأنَّه قال ويئس كسميع ولم يذكر مضارعه » (حمدون، دت، صفحة 17)
 - 2_ من صور السماع في الحاشية: قوله: « [تنبيه] كما سَمِعَ حَدَّثَ ثلاثيًّا سَمِعَ أَحَدُ رِباعيًّا وكلُّ منهم لغة فصيحة كما جزم به شراح الفصيح » (حمدون، دت، صفحة 23)
 - 3_ من صور الرواية في الحاشية: قوله في « (حرَّ نهار) أسنده للنَّهار احترازًا من حرِّ المملوك "عتق" فإنَّه على القياس، كما نقله ابن العباس عن علي بن حمزة في تعقبه على ثعلب » (حمدون، دت، صفحة 25)
 - 4_ من صور التعليق في الحاشية: قال عن اللام التي هي في (الحمدلة): « فاللام لام تقوية؛ لأنَّ الفعل المقدَّر يصلُّ بنفسه، والتَّقدير "أحمد الله الحمد" ثمَّ حُذِفَ الفعل وقُدِّمَ لفظُ الحمدِ اهتمامًا به؛ لأنَّ المقام مقام حمدٍ وإن كان اسم الله أهمَّ في نفسه، والخفض على الإتيان، وهو مهيع مسلوكة عند العرب، وحركة الإعراب حينئذٍ مقدَّرة منع من ظهورها حركة الإتيان » (حمدون، دت، صفحة 04)
- وختامًا يُمكنُ القول إنَّ هذه الحاشية، من المؤلَّفات النَّفيسة التي ألَّفت في القرن الثالث عشر الهجري؛ فهي حافلة بالآراء والشواهد اللغوية، وأسماء بعض الكُتُب المغمورة، عرضها بن حمدون بمنهج واضح، ودقيق، مستندًا في بنائها على أُمَّاتِ الكُتُب اللغوية، ولا يكفي عرض ما جاء فيها في صفحات قليلة، وعليه فإنَّ مجال البَحْث فيها لازال متاحًا لما تحتويه من ظواهر لغوية، وجب الحديث عنها بإسهاب.

المصادر والمراجع:

- جلال الدِّين عبد الرَّحمن السيوطي، (1425-1426هـ، 2005م)، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنَّحاة، تحقيق محمَّد عبد الرَّحيم، دار الفكر - بيروت - لبنان، ط1.
- جمال الدِّين محمَّد بن عمر بن مبارك بحرق الجُميري (1414هـ، 1993م) شرح بحرق الكبير (فتح الأقفال وحلّ الاشكال بشرح لامية الأفعال، تحقيق د مصطفى النَّحاس، الناشر: كلية الآداب، جامعة الكويت.
- الحسن ولد زين الشَّنقيطي (1971)، الظَّرة، "توشيح لامية الأفعال لابن مالك، بخياطة وترشيح الشَّيخ العلامة محمَّد سالم ولد عدود، تحقيق، عبد الحميد بن محمَّد الأنصاري، دار الكُتُب العلميَّة بيروت، لبنان، دط.
- خير الدِّين بن محمود بن محمَّد بن علي بن فارس الزَّركلي، (دت) الأعلام، المكتبة الإلكترونيَّة الشَّاملة، مكتب الدَّعوة بالروضة، دط.
- عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر سيبويه (1408هـ، 1988م)، الكتاب، تحقيق، الشَّيخ محمَّد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3.
- محمَّد الطَّالِب بن حمدون بن الحاج السَّلمي، (دت)، حاشية الطَّالِب بن حمدون على شرح بحرق، على لامية الأفعال لابن مالك، دار الفكر، بيروت - لبنان، دط.
- كمال عرفات نيهان (1436هـ، 2015م)، عبقرية التَّأليف العربي، - علاقات النَّصوص، والاتِّصال العلمي، - مجلَّة الوعي الإسلامي، الكويت.
- محمد بن عبد الله بن أبي بكر الزبيدي (دت)، طبقات النَّحويين، واللغويين تحقيق محمَّد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2.
- محمَّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، (1423هـ، 2002م)، متن ألفية بن مالك في النَّحو والصَّرف، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت - لبنان، ط01.
- محمَّد يحيى الولاتي، نظم لامية الأفعال، للعلامة جمال الدِّين بن مالك، تصنيف مؤسَّسة الفقيه.
- المواقع الإلكترونيَّة:**
- عبد الله بن عُويقل السَّلمي، (جمادى الأولى، 1420هـ) المتون والشُّروح، والحواشي، والتَّقريرات في التَّأليف النَّحوي، مجلَّة الأحمديَّة-العدد الرَّابع.
- عبد السَّلام بن سودة، (دت) اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرَّابع al-maktaba.org
- مصطفى عكلي، أعلام القرن الثالث عشر الهجري، موقع جوجل.